الخميس 2 نونبر 2006

alamthakafi@yahoo.fr

تحت شعار " الحاءات الثلاث " ، أطلق القاص محمد سعيد الريحاني ، مشروع انطولوجيته القصصية الخاص بترجمة القصة العربية القصيرة إلى اللغة الإنجليزية . البداية ، كانت مع الحلم المغربي ، يليه الحب المغربي ، أما الحاء الثالثة فللحرية .

حول ماهية هذه الانطولوجيا ،دوافعها ، أهدافها ، ومقاييس الالتحاق بهذا الحلم القصصي المغربي كان هذا الحوار

مع القاص محمد سعيد الريحاني حول مشروع أونطولوجيته القصصية

أنطولوجيا الحلم المغربي

حاوره : عبدا لله المتقي

● هلا قربتنا من مشروع " انطولوجيا القصة المغربية الجديدة " ؟

■ إطلاق مشروع "اونطولوجيا الحلم المغربي" الخاص بترجمة القصة المغربية القصيرة إلى اللغة الإنجليزية هو شطر اول من مشروع ثلاثي (في ثلاثة اجزاء على ثلاث سنوات) يحمل شعار "الحاءات الثلاث" أريد له "التعريف" بالحساسيات الجديدة للقصة المغربية القصيرة الجديدة عن طريق "ترجمتها". وقد حددت المحطات الثلاث للمشروع في إقلاعه نحو الغاية المنشودة في "الوصول للقارئ الآخر". واول المحطات هي النشر الإليكتروني على مواقع إليكترونية ثقافية عربية لمعانقة ذوي القربى الذين يفترض أن يكونوا اول من يقرأ الخبر واول من يطلع على المشروع. على ان تساير هذه الخطوة نشرا موازيا على مواقع إليكترونية انغلوفونية تعنى بالأدب المقارن او الترجمة أو الإبداع. الخطوة الثانية هي النشر الورقي على صفحات المنابر الإبداعية والثقافية. والخطوة الثالثة والأخيرة ستكون تتويجا للمراحل السابقة من هذا المشروع، وذلك بالصدور في كتاب تحت رعاية ناشر يتكفل بطبع الكتاب والترويج له ولكتابه.

ابتدا النشر الالكتروني مع فاتح ابريل 2006 وتم الالتزام بالموعد نص الشهري على الويب لغاية الساعة وسيستمر الانضباط في النشر لغاية نشر اخر نص مترجم يوم 15 نونبر2006، اي بعد ثلاثة اسابيع.

فالقاطرة تسير ولا راد لها ما دام الهدف محددا والبرنامج المسطر تحت السيطرة والعمل التطوعي محركا اساسيا للمشروع. وهذه ليست سوى شمعة واحدة ونحن نضيئها ترفعا عن سب الظلام...

● ما هو دافعك من مشروع هذه النافذة المشرعة على حديقة الآخر ؟

■ في سنة 2003خطرت ببالي فكرة إعداد انطولوجيا للقصة المغربية القصيرة المكتوبة بالعربية يكون محورها "الطيران". وكان من بين النصوص المختارة نص "وطن العصافير المحبطة" ونص احمد زيادي "الطفل والعصفور" ونصوص أخرى لم اعد اذكرها لأنني راسلت أصحابها الذين لم يكلفوا انفسهم عناء الجواب على المقترح.

لكن الفكرة عادت إلى السطح من جديد في بداية هذه السنة 2006، عندما طلب مني احد الكتاب المغاربة ترجمة نص قصصي له من اختياري. فاخترت من نصوصه نصا حالما كان في تقنيته السردية يميل لنصي الحالم "افتح، يا سمسم". ففكرت مليا في إحياء المشروع وقررت هذه المرة أن اغير الاتجاه ليكون القارئ "اجنبيا": لماذا لا يقرأ القارئ الأجنبي نصوصا كهذه؟ لماذا لا نختار للقراء الأجانب ما يقراونه لنا كما يختارون لنا ما نقراه لهم؟ لماذا لا نقدم لغيرنا الصورة المشعة التي نريدهم ان يرونا من خلالها؟...

وقد راعني التجاوب الكبير مع الإعلان. ففي ظرف خمسة عشر يوما كان في علبتي البريدية حوالي عشرين نصا لكتاب مغاربة وغير مغاربة. ووجدت نفسي في امتحان صعب ووسائل الإعلام الدولية من إيران والعراق إلى إنجلترا تنشر الخبر والتعليق حول المبادرة والتهاني تتقاطر من كل مكان. فوجدتني امام خيارين: فإما ان "اربح وجهي" او ان "اخسر مشواري الأدبي". فأوقفت الإعلان، ما دمت ساقوم بكل المهمة وحدي، واكتفيت بترجمة سبعة عشر نصا لكتاب مغاربة معتذرا للكتاب الآخرين.

ولقد كان هذا الخوف عاملا مساعدا على بدل قصارى الجهد لإنجاح المشروع. لكن لم يكن الخوف هو محرك المشروع. فمشروع "انطولوجيا الحلم المغربي" لم يكن يرتكز على دعامة الخوف من الفشل بل كان يستند إلى "فلسفة تحدد معالم افقه". ففكرة ترجمة نصوص القصة المغربية القصيرة إلى اللغة الانجليزية كانت في البدء نابعة من عدم قبول الشح الواضح في النصوص السردية المغربية المكتوبة او المترجمة إلى اللغة الانجليزية. وكان هذا الحس بالغيرة ورد الاعتبار هو محرك مبادرة ترجمة نصوص سردية مغربية جديدة للتعريف بها لدى القارئ الآخر. لكن هذا القارئ الآخر ليس قارئا محايدا بل هو قارئ متشبع بثقافة أخرى ترى في الثقافة العربية، عموما، عيبين كبيرين:

-(1العيب الأول: هو التجزيئية. اي ان الفكر العربي فكر غير نسقي فكر تجزيئي نظرا للمنع التاريخي للفكر المنظم والتفكير الحر (الفلسفة) و هيمنة الراي الواحد الذي لا يسمح بنسق فكري متكامل و مغاير بجانبه.

-(2العيب الثاني: هو انعدام الحرية. فإذا كانت الطابوهات في الحياة العربية تحدد في ثلاثة: الدين و الجنس والسياسة. فسيكون من الأجدى توسيع الدوائر الثلاث اكبر ما يمكن توسيعه لتصبح الطابوهات الثلاث تحمل اسم " الحاءات الثلاث" : حاء الحلم وحاء الحب وحاء الحرية... وللالتفاف على مصادرة هذه الحاءات اعتبر الحلم تخريفا والحب ضعفا والحرية فتنة والفتنة نائمة في الرؤوس ملعون من يوقظها...

ولذلك، فقد ارتأينا ان يكون المشروع القصصي نسقيا متكاملا وحرا من كل الطابوهات العروبية. وكان سبيلنا إلى ذلك هو اختيار حاء اولى من ثالوث الحاءات الثلاثة المحرمة، حاء الحلم ، بحيث تؤدي الرهان الهادم للثالوث المحرم من زاويته الاولى كما تؤدي دور الجاذب لكل من المشروع الذي أطلق عليه "انطولوجيا الحلم المغربي" على ان تكون الحلقة الثانية "انطولوجيا الحب المغربي"، والحلقة الثالثة والأخيرة "انطولوجيا الحرية".

إن مشروع "انطولوجيا الحلم المغربي" مركب نحو الضفة الأخرى والقراء الآخرين في افق تواصل اكثر انفتاحا في زمن الدوائر الضيقة والآفاق الضيقة وسماوات قاعدة ؟مبدع الحي لا يطرب ؟.

وانا متفائل بأن المشروع سيكون له صدى في كافة ربوع الوطن العربي وستتفتح بموازاة معه جنسيات اخرى لانطولوجيات أخرى حول احلام اخرى... المشروع هو فقط فاتح شهية لانفتاح إبداعي عربي قادم على الآخر مثلما هو إدانة لواقع القراءة المتردي في كل ربوع البلاد العربية.

وكما تتبعت، وانت من شهود هذه التجربة، فـ"انطولوجيا الحلم المغربي" كتبت في الهواء الطلق بعيدا عن كل أصناف الهواء الفاسد والملوث، بحيث كان من الغيورين الزيارة والمشاركة والتأثير والتقييم والتقويم. كما لا يفوتني ان انوه بالتفاعل الإيجابي الذي صاحب عملية ترجمة نصوص الانطولوجيا. فمن الكتاب المشاركين في المشروع من تقبل بصدر رحب تغيير عنوان نصه، ومنهم من قبل إضافة او حذفا داخل النص ذاته... وهو ما لا يمكنه أن يحدث في مشروع اخر مع مخاطب اخر لولا الثقة الكبيرة التي وضعوها على عاتقنا والتي تحولت للتو إلى مسؤولية عظيمة.

● ما هي مقاييس الالتحاق بهذا المشروع القصصي؟

■ المشروع فتح صدره لجميع الأقلام المبدعة في مجال القصة القصيرة على أن يكون النص القصصي "حلما" بالضرورة، وان يرفق النص بصورة شخصية وسيرة ذاتية جد مركزة ويبعث بها جميعا إلى عنواننا الإلكتروني.

مشروع "اونطولوجيا الحلم المغربي" الخاص بترجمة القصة المغربية القصيرة إلى اللغة الإنجليزية، هو مشروع انطولوجيا لا تشبه الأنطولوجيات. فرغم انها تركز على جنس أدبي معين، القصة القصيرة، فهي تشترط داخل ذات الجنس الادبي موضوعا واحدا كقاسم مشترك ضروري تتقاطع فيه كل النصوص المقترحة للترجمة وهو "الحلم".

مشروع "اونطولوجيا الحلم المغربي" ملك للجميع ولذلك امكن لكل الغيورين اقتراح كل ما يرونه مناسبا لحجمه ورهانه. كما كان بإمكانهم اقتراح اي نص يرونه منضبطا للشروط البسيطة المعروفة والمنصوص عليها في ورقة المشروع وهي ان تكون قصة قصيرة ومغربية وان يكون الموضوع حلما بالضرورة.

المشروع هو ملك لكل الكتاب المغاربة ولذلك فإننا كنا ناخذ بجدية اكبر اقتراحاتهم. فلسنا في نهاية المطاف سوى منفذي حلم/مشروع كان أصلا حلما/مشروعا في مخيلة كل المبدعين المغاربة. اما شروطه فلم تكن مفروضة ولا كانت نهائية. بل كانت تتاقلم باستمرار مع المعطيات المتجددة عندنا: النصوص القصصية المتوفرة ، اقتراحات الغيورين على فكرة المشروع الذي نما وتكيف وتاقلم باستمرار مع مقترحات الزملاء الكتاب المغاربة. وعليه فقد تم إسقاط شرط "ان يكون الكاتب قد نشر على الاقل مجموعة قصصية واحدة على الأقل" اقتناعا بفكرة صعوبة دخول عالم النشر بالنسبة لأغلبية الأدباء الشباب... وهو راي اغلب الكتاب والنقاد والغيورين الذين تجمعنا معهم إرادة إيصال المشروع إلى القمة وإيصال الأصوات الإبداعية المغربية معه إلى العالمين. ثم تبعه إسقاط صفة الأدباء الشباب عن المرشحين لغموض مفهوم الشباب والأدب الشاب والأدباء الشباب وحاجته للتدقيق والتمحيص. ورغبة منا في جعل الحلم مغربيا صافيا، حلما لكل المغاربة، فقد حذفنا ايضا شرط الشباب عن المشاركة في الانطولوجيا... كما تم حذف نصنا الثاني المعنون "احلام الظهيرة" حرصا على مبدا التكافؤ بين جميع كتاب الأنطولوجيا...

● لماذا أنطولوجيا للقصة ، بدل أنطولوجيا للقصيدة ؟

■ كما تعلم، فانا كاتب قصة قصيرة ولست شاعرا. لذلك، فلا يمكنني سوى أن اكون منسجما مع ذاتي إذا ما تعلق الأمر بإعداد انطولوجيا أدبية فاختار القصة القصيرة. فكوني قاصا يجعلني اقرب لفهم القاص المترجم له من اي مترجم آخر نظرا لوجود العديد من القواسم المشتركة بيننا: المعرفة الكافية بالجنس الادبي موضوع الترجمة، الدراية بالتقنيات السردية المشغلة، الإلمام بالمدرسة الادبية التي ينتمي إليها... وكما تتبعت، فقد كنا قبل القيام بعملية الترجمة، ننجز قراءات نقدية للأعمال المرشحة للترجمة باللغة العربية اولا كي يطلع عليها أصحاب النصوص ويكونوا على بينة من امر نصوصهم. فالترجمة لا تكون أبدا خيانة إلا في حالة ترامي الدخلاء على ترجمة نصوص تنتمي لمجالات لا يعرفون عنها شيئا. فالترجمة، في نهاية المطاف، ليست محض إلمام باللغة المترجم منها (source language) واللغة المترجم إليها (target language). إنها أكبر من ذلك بكثير.

ولذلك، لن تجدني في يوم من الأيام اترجم غير السرد . ولذات الغرض لن تجد مترجما متخصصا في ترجمة النصوص الدينية يجرب في يوم من الأيام ترجمة رواية "عوليس" أو مسرحية "بيت الدمية". لأن الأمر لا يتعلق فقط بنقل الكلمات من لغة إلى اخرى بل بنقل سياق ثقافي محدد في العمل الإبداعي موضوع الترجمة إلى سياق ثقافي ثان في عمل إبداعي ثان.

استحضر بالمناسبة طرفة حدثت لأحد أصدقائنا. فقد فوض لمترجمة إنجليزية ترجمة ديوانه الشعري من اللغة الفرنسية إلى اللغة الإنجليزية، فاندهش لترجمتها لكلمة (les beurs) التي تعني "الجالية المغاربية في فرنسا" بكلمة (butter) التي تعني "السمن". فقد كانت تعتقد ان (les beurs) هي صيغة الجمع للمفرد (le beur). وهذا النوع من الترجمات هو ما ينعته الإنجليز ذاتهم ب (bread-and-butter translation) اي ما يسميه المغاربة "ترجمة اقدي وعدي". وهذا مصير كل متطاول على ترجمة اي عمل لامسته يده من فن وفكر ودين وعلوم دون ان يعي اختصاصاته ومقدراته وحدوده...

● ما الاهداف التي تنشدها من هذه الأنطولوجيا ؟

– من بين الانتقادات التي وجهت لنا إبان الإعلان عن هذا المشروع، أتذكر الملاحظات التالية وهي تخص الاهداف المحددة للمشروع:

*1لا طاقة لمغربي بترجمة عكسية لنصوص من العربية إلى الإنجليزية وإلا سيضطر لنشر نصوص سهلة لا تمثل القصة المغربية. وان الإنجليز هم المؤهلون لذلك.

*2الأجدى ترجمة النصوص الإنجليزية إلى العربية للاستفادة منها لا العكس.

*3الترجمة إلى لغة اخرى ستخصيها من كل فحولتها في لغتها الأم ما دام الهدف هو تزيين الصورة ليقبلك الآخر...

*4الكتابة عن المغرب تتطلب وضع اليد على اماكن الخلل ونشر غسيله الوسخ بينما الترجمة ستعمل على إخفاء هذا الوسخ وستكون بذلك ترجمة سياحية من الافضل أن تشرف عليها وزارة السياحة...

وهذه الملاحظات جميعها تستمد جذورها ومقوماتها من فلسفة "صدام الحضارات" الذي نعارضه جذريا بتبنينا لفلسفة بديلة: "حوار الحضارات".

لماذا لا ناخذ زمام الامور بايدينا؟

الم يكن الاتحاد السوفياتي يخصص ميزانيات في حجم ميزانيات التسلح لرسم صورته عن طريق ترجمة الادبيات الماركسية واشكال تدبير الحكم على النمط السوفياتي إلى كل لغات العالم؟

الا تفعل اليابان ودول الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة نفس الشيء أيضا؟

إن القضية الحقيقية في زمننا المعاصر هي ضمان موطئ قدم وسط هذا السيل الهائل من الصراع على الوجود والهيمنة. فـ"من لا صورة له، لا وجود له". و"من صنعت له صورته، صنعت له معها ادواره". و"من صنعت له ادواره، اضاع فرصته في الحياة".

● ماهي آخر اخبار هذا المبادرة ؟

■قد نشرت النصوص اتباعا على موقع "ريحانيات" وموقع "الحكواتي". كما نسهر حاليا على نشرها جميعا على إحدى اكبر الموسوعات العالمية، موسوعة "ويكيبيديا" العملاقة. اما الخطوة الثانية فهي النشر الورقي، وقد تلقينا من أستاذ اللسانيات والتواصل الدكتور فؤاد بوعلي المشرف على مجلة "واتا/ "WATA" التي نصدرها الجمعية الدولية للمترجمين العرب وعدا بنشر النصوص إما في ملحق خاص أو في شكل نصوص موزعة على اعداد متتالية. والخطوة الثالثة والأخيرة ستكون تتويجا للمراحل السابقة من هذا المشروع بالصدور في كتاب تحت رعاية ناشر يتكفل بطبع الكتاب والترويج له ولكتابه.

الحقيقة اننا راسلنا أزيد من 100دار نشر امريكية وإنجليزية واسترالية وكانت مغامرة جميلة اكتشفنا خلالها أشياء كثيرة إلى أن اقترح علينا الإخوة حملة القلم في البلاد تغيير اتجاهنا من مكاتبة دور النشر الأجنبية إلى مكاتبة وزارة الثقافة المعنية الاولى بدعم الثقافة المغربية داخليا والتعريف بها خارجيا . فاقتنعنا ووضعنا بين ايدي السيد وزير الثقافة طلبا إلكترونيا اولا لطبع هذا العمل الحالم لتحقيق حلمه وإخراجه للقراء إما في نسخته العربية أو الإنجليزية او هما معا في كتاب واحد. وقد كان الجواب، بتاريخ 17اكتوبر 2006، يطلب فيه منا تقديم مشروع كتابنا إلى احد الناشرين المغاربة وهو ما سنفعله وما علينا سوى انتظار إعلان نتائج الترشيحات لنيل دعم وزارة الثقافة.

● بم تريد أن تختم هذا الحوار ؟

■ في نص "موسم الهجرة إلى اي مكان" من مجموعتي القصصية الاخيرة التي تحمل ذات العنوان، ربما قرات هذه الفقرة:

"الوطن صار مسرحا لأسوء انواع الممثلين. الناس اميون ويمثلون دور الآباء المسؤولين وياخذون ابناءهم للمدارس. المدرسون يمثلون دور المربي والمعلم والمنشط والتلاميذ، منهكون بالمحافظ الثقيلة وساعات الدرس الطويلة والمسافات البعيدة بين المدرسة والبيت، يمثلون دور النجباء المتجاوبين مع الدرس. والتلفاز يذيع نتائج الامتحانات ويمثل دور المطمئن لتطور مستوى ابناء الشعب. والشعب مريض والأطباء يمثلون دور المعالج. والمحسوبون اقارب يمثلون دور المواطنين على زيارة القريب في المشفى. والمرضى يموتون ويحملون إلى ديارهم في سيارات يمثل بها سائقها كسيارة إسعاف. ويخرج افراد عائلاتهم يصرخون ويندبون ليمثلوا دور المنكوب...

تمثيل في تمثيل في تمثيل... وانا في حاجة إلى العيش ولو ليلة بعيدا عن هذه الخشبة الكبيرة. لذلك ، فقراري الرحيل قرار لا رجعة فيه."

وهذه هي كلمتي الختامية: "علينا في هذه المرحلة من تاريخنا ان نكون حقيقيين: في مشاريعنا وخططنا، ان نقول ما نفكر فيه وان نفعل ما نقوله". علينا ان نكون حقيقيين: افرادا ومؤسسات. هذا هو حلمنا وهذا هو جوهر مشروع ×انطولوجيا الحلم المغربي× : "الحلم بغد مختلف لا يمت لهذا الواقع بصلة".